محمد جبريل

سطور في الصفحة الاخيرة

خطوة ، خطوتان ، ثلاث خطوات . البداية من هنا ..

ـ انت ؟

العد صحيح ، فهل اخطأت البيت ؟ بركة الفيل كانها هبطت الى باطن الارض . كل الملامح غابت في الظلمة . حتى الظلال الرماديـة تلاشت ، وساح المكان فـي ظلمـة عميقة ، عميقة . رائحـة بئر السلم دليلـي الذي لا يخطيء ..

ـ حاسب يا ابـن المرة ..

الصوت اعرفه جيدا . اسرفت ـ ربما ـ في الحفاوة بالسنجق رضوان الجداوى ، فشربت الكثير . لكـن : متى هدّ الشرب قواي ، فاذهلني عن نفسي ؟ الافضل ان ابدأ من جديد . السواد طبقات كانـي فقدت البصر . التوقع ـ وحده ـ وسيلة الوصول الى باب القاعـة الرئيسية . خطوة . خطوتان ، ثلاث ..

ـ اذا اصطدمت بي ثانية ، قتلتك !..

المؤامرة !.. افلحت في تفادي ضربـة السيف التـي ارادت اقتطاف الثمرة الاخيرة في شجرة الماجدين . هـذا اللهب المتراقص اشارة بدء التنفيذ : الرصاص والسيوف والخناجر والسهام والنشاب والمزاريق . العين التي تطل مـن اطار اللهب كانهـا لقرصان . قسمات الوجه ترسم السذاجـة والطيبة ..

ـ لا تغضب يا محمود افندي .. ايقظت الولد مخلوف ، فدفعك بيـده ، ولم يقصد ايذاءك ..

ـ كنت اقصد يا معلم ..

ـ اخرس يا ولـد ..

ـ هذا مولد كل ليلة .. يغرق في الخمر ، ويعـود ليوقظنا ، ويوقظ الحي كلـه ..

ـ لا تغضب يا محمود افندي .. خذ علبة الكبريت لتنير السلم ، واصعـد الى شقتـك ..

الصوت اعرفه . اليد التي لا اعرفها تربت على الكتف في مودة زائفة . اليد الاخرى ، المرتعشة ، تدفع ـ لا بد ـ بمـا يمزق الجسد. البراءة ـ الان ـ في النجاة بحـياة اخر سلالة الامراء المصريـة . اصعد الى شقتك وخذ العلبة . الامـراء سكناهم القصـور . البيوت القزمة المتساندة حلم طارىء تبدده ضخامة القصر الذي يكـاد يبتلع ـ في مساحته ـ بركة الفيـل . التنبه لحركات الايدي وايماءات الرؤوس وارتعاشات الاهداب واتجاهات النظرات ، جسر الوصول الـى بـر الامـان ..

ـ انت لا تقوى على الوقوف ، فهل اساعدك في الوصول الـى شقتـك ؟ ..

المؤامرة ! .. الليلة مشهودة . لن يكـون الخلف اقل جسارةوثباتا من الاسلاف الراحلين . الخديعـة تواجه سيفا بتارا يتطهـر بدمـاء الخيانة . حتى القادر محمد علي لم يجتث الشجرة الخالدة ، فهـل يفلح هؤلاء الذيـن لا يعرفـون اصلهم ولا مـن اباؤهم ولا كيف اتاحت لهم الحياة ان يتنفسوا لحظاتها ؟.. يريدون اصطياد اخر السلالـة المضيئـة . الجرائد تكتب : ابناء الفلاحين يقتالون اخر المماليك . بركة الفيل تشهـد الفصل الختامي لمذبحـة القلعـة . مصرع اخر المماليك. المماليك ؟ ولمـاذا الآخـر انا ؟ ..

العابثة جلنار اعتذرت بانها ان تتزوج حسبا ونسبا ، فالمـال حسبها ونسبها ..

ـ ياجلنار .. لست وضيعة الاصل حتى تتزوجي فلاحا ..

ـ اسمى عائشة .. ولست بلهاء حتى اتزوج مفلسا مثلك ..

ـ اني احيا على ايراد بيت بركة الفيل ، والبيت الاخـر فـي الصنادقيـة ..

ـ بالكاد تحيا على ايرادهما ..

ـ ذلك لاني اسرف في النفقات .. اما بعد الزواج ..

ـ سنأكـل عيشا ودقـة ..

ـ ولمـاذا لا اعمل ؟..

ـ نعم .. لماذا لا تعمل ؟ .. ولماذا لا تعمل الآن ؟..

العين التي يحيط بها اطار اللهب تقترب ، تحدق ، تبين عـن الحقد والخديعة . الفريسة في الشباك . الخوف من صيحةالاستغاثة التي يسرع لتلبيتهـا الالاف من الاعيـان والجاويشية والملازميـن والسعاة والاغوات . الخطـوات بطيئـة ، متثاقلـة . الخـدر يسحب الساقين الى اسفل . ليس الافراط في الشراب ، وانما الارهاق مـن تعب النهار . حاذر ان تسقط . الكلاب ربما حفروا بئرا ..

ـ يا مجنـون .. الى ايـن تعـود ؟

لا تلتفت الى وراء . ضوء الطريق الشاحب يتسلل من البـاب القريب . ها انت ـ اخيرا ـ خارج القصر والمؤامرة . النجاة انقـاذ سلالة باكملها لا مجرد انقاذ حياة . اغماضة العين المنتشية لن تحجب

الرؤيا الباهرة لبركة الفيل التي بسطت الواحا هندسية كانها السحر . سطح الماء الذي يتبارى فوقه الراقصون والبهلوانات والحواة ولاعبو النار والقرداتية واهل الهنك والرنك . المتفرجون من الامراء المصرية وابناء الفلاحين ، سقط بعضهم ـ لفرط التزاحم ـ في مياه البركة . المزيج اللحني الصاخب تصنعه نداءات الباعةواصوات المغنين وصيحات التحدي وصرخات الاشفاق . القناديل التي تعيد الحياة على صفحة المياه متماوجة ، ساطعة ، وهاجة . القصور على الجانبين ـ تحفل بالولائم والغناء والرقص وانهار الخمر ..

يا ابناء بركة الفيل . هذا حي ابائي واجدادي وآباء أجدادي . انتم الغرباء ، ونظراتكم التي تطفح حقدا وشماتة وتآمرا ، اولى بها ان تتسلل الى اعمق الاعماق من نفوسكم . تضع الصورة في اطارها المعقول . دولة الامراء المصرية باقية ما بقى آخر افرادها : محمود جوجو . هذا هو اسمي الذي يقفز بالبسمة الى شفاهكم ، واعتز به . السيادة والفروسية والمبارزات والكاس والطاس والندمان والنكتة البارعة والاغنية الجميلة .. دنيا لا تعرفونها !..

ـ يا ابن الكلب .. الم احذرك من الصخب الذي توقظنا به كل ليلة ؟ .

ـ اعقل يا متولي .. هذه دنياه ..

ـ ملعونة دنياه .. سنوات ولا يكف عن عادته اليومية ..

ـ هل سيؤدبه الضرب ؟

ـ فليرحل عن الحارة .. عن الحي كله !

ـ ولكنه يقيم في ملكه ..

ـ اذن ، اضربه لتهدأ نفسي !. .

يا ايها المسكين . سطور كتاب الامراء المصرية مؤامرات ودسائس ومعارك ودماء . صيحات القتال متصلة . الشر يطل ويتحرك في كل حين . ضرباتك اوسمة يستحقها اخر الامراء في درب عودته الى مجد آبائه . بنى الجد جوجو المساجد والزوايا والاسبلة والسقاياتوالمكاتب والاحواض والقناطر والمربوط للنساء الفقيرات والمنقطعات . البسه الخليفة الخلعة بيده ، وفوض له الامر . جعل عزوة كبيرة منالاتباع واولاد الناس . تحرى العدل ، فالرعية ـ في حكمه ـ سواسية كاسنان المشط . ضيعته الخيانة . احاطت جموع اتفادرين بالقصر من كل الجهات . زحفت الى الباب الرئيسي . معهم انخاخ واحطاب . جعلوا فيها لكبريت والزيت . اشعلوها واحرقوا الباب . اقتحموا القاعات والردهات والحجرات ، فلم يتركوا شيئا سليما . تابعت ـ من نافذة باعلى القصر المقابل ـ موكب جنازته . مشى امامه المشايخ والعلماء والامراء واطفال المكاتب وحاملو مجامر العود والعنبر . بعد ان وسد جثمانه الطاهر التراب ، تواصلت الختمات والقراءات والصدقات اربعين يوما كاملة ..

ـ ما تفعله ليس ضربا ، انه قتل !..

ـ فليمت او يذهب في ستين داهية . لم اعد احتمل هذيانه اليومي ! ..

يا ايها الشاب الطيب . انا السنجق محمود جوجو . اسم يتوه في تلافيف عالمكم الغريب . عاوني على النهوض ، على الفرار من وجه المؤامرة ، على اتصال حلقات السلسلة المضيئة الباهرة . امنحك الف ريال ، والف اردب من القمح والفول والشعير . اضمك الى الاعيان واشراف الفلاحين . اصل اسمك الوضيع بلقب عريق . اجعلكاشفي يوم الانتصار العظيم . تحظى برفقة المجد العائد فوق جواد رائع كانه الاسطورة . الامراء مشاة بين يدي ، والجماهير الحاشدة ـ على الجانبين ـ تهتف وتغني وتلهج بالدعاء . الموكب الفخيم يغادر بركة الفيل ، يعبر ابواب القاهرة ، يشق وسط المدينة بانواع الملاعيب والبهلوانات والمهاترة والمقدمين والقمائم والمباخر . ايدي الكشافيين والسناجق تقبض على الاقواس والنشاب ، وتشرع المزاريق . ادخل من باب النصر في موكب عظيم وشنك جليل . انادي بالزينة : تزين مصر وبولاق ومصر العتيقة زينة عظيمة ثلاثة ايام بلياليها . الوقدات واحمال القناديل والشموع بالاسواق وسائر الجهات . الولائم والمعاني وآلات العزف والقهوة والشربات صورة الحياة في كل مكان . بدرات الذهب والفضة تتناثر على الجموع كرذاذ المطر . الخلع والتخاليق الثمينة توهب للعلماء ومشايخ الازهر . الصدقات تجد طريقها الى كل بيت يعاني . الطعام كومات لاهل الخصاصة ، وابناء السبيل ..

.. مجرد ان تضع يدك تحت ساعدي ، تعينني على النهوض،تدلني على ثغرة في الحصار الهائل الذي يحيط بي ..

ـ الن تفيق يوما ؟ ..

ـ ايها الشاب الطيب .. الحمقى يظنونني مخمورا .. المملوك يشرب من الخمر نهرا ، فلا يرتوي ..

ـ الن تفيق ؟ ..

ـ لا تصدق هؤلاء الحمقى .. انت شاب طيب .. السنجق محمود جوجو يهبك ثقته ومحبته ..

ـ ابناء الحارة ضاقوا بك ، ولن استطيع حمايتك من ايذائهم ..

ـ اتركوه في الطين ، فلا فائدة ! ..

ـ وما الجديد حتى يشتد انزعاجكم ؟

ـ هذه صورة الفناها ..

ـ المسكين ! ..

ـ اليس له اهل ؟ ..

ـ اعرف امه .. كانت دلالة في بركة الفيل والاحياء المجاورة ..

ـ لكنه يملك البيت الذي يسكنه ..

ـ ذلك هو الميراث الوحيد الذي خلفه له ابوه ..

ـ يقال ان له بيتا اخر في الصنادقية ..

ـ خرابة في صورة بيت ..

ـ هل هو من المماليك حقيقة ؟ ..

ـ وما المماليك ؟ ..

يا ايها الشاب الطيب . ساعدني في الوصول الى بركة الازبكية. الى قصر ـ ليتني لم اغادره ـ تتراقص اضواؤه فوق مياه البركة ، تحيط به النخيل والاشجار وكرمات العنب ، جواريه شموس ،جليبات من القوقاز الى القصر المنيف ، فلا يقف بهن الياسرجية في سوق الرقيق بباب الفتوح . حراسه من فرق الانكشارية والمتفرقة والعزب. دعوت الشيخ حسن الجبرتي لزيارتي ، فقال وهو يمشط لحيته : انت آخر المماليك .. فمتى تصبح مصر ملكا لابنائها ؟..

يا خليفة المسلمين . مولانا خالق البحرين وملك البرين . اين جلبانك ؟ اين خاصيتك ؟. المؤامرة التي يحيك خيوطها ابناء العرب غايتها التخلص من سيادة السناجق وسيطرة العثمانيين ، فهل تدري؟. يا ايها السلطان . تركنا بيوتنا وحريمنا في عرضك ، ففعل بها اولاد الفلاحين ما فعلوا . حصل منهم الفساد والافساد . هتكوا الاعراض ، وباعوا الاولاد ، واستذلوا السادة والوجهاء ، وقتلوا الامجاد ، وسبوا الاحرار . هدموا الدور ، واحرقوا القصور ، ونهبوا الاموال والبيوت ، وما وجدوه من المتاع والاواني والقصاع والودائع . منعوا خراج السلطان . اكلوا حقوق الفقراء . دشتوا الكتب والمصاحف . بالوا،وتمخطوا ، ومشوا الخيلاء . جاهروا بفاحش القول . اخافوا الناس ..

ـ محمود زفت .. هذا انت ؟. الم يعد في حياتك سوى منقوع البلغ ؟ ..

يا ليل المماليك الطويل . اللعنة التي تسقط كل ليلة في افق الغروب ، لتصحو في فجر اليوم الجديد . الامر الذي بدأ محاولة للاقناع ، فرجاء ، فتوسلا عقيما . الصحو في الضحى عادة الاب التي ورثتها . ايراد المزرعة وقصر الجمالية ذي الستين غرفة ضمنا الحياة

الهانئة المستقرة . السيف هو العمل الوحيد الذي يجيده المملوك . لذلك كانت حياة الآباء والاجداد ، حياة زاخرة بالفروسية والصراع .. فمتى كان المملوك ينشد بالعمل رزقه ؟..

هدايا الاقاليم ـ رمز وفاء الحاكم ووجهاء السنجقيات والاعيان والوجاقلية والمباشرين ـ من الاغنام والبقر والثيران والسمن والعسل، وهدايا التجار من الحرير والحلى والجواهر والوان المسك والعنبر والكافور والعود ، واواني الزجاج والبللور ، وتلك التي يبعث بها تجار الفرنجة من سيوف وخناجر واسلحة بديعة الطراز .. ايام امن وامان . الدنيا عامرة بالخير . الفتن ساكنة والاحوال مطمئنة . المكاسب وفيرة ، والاسعار رخيصة ، والقرى عامرة . يعيش رغدا بها الفقير ، وتتسع للجليل والحقير ..

بالاختصار ، جرى ما هو مسطر في الكتاب من ذبح الامراء ، وتلاشي السلالة المضيئة الماجدة ، وتمكن الاحلاس من الدولة ،ووصول الصعاليك الى مراتع السلطة ، والذين كانوا بالامس اسفل الناس، اصبحوا ملوك الارض يجبى اليهم ثمرات كل شيء ..

ـ هل رايت ؟ .. لن يكفوا عن شتمك والسخرية بك .. فلماذا لا تعود الى بيتك ؟ ..

يا ايها الشاب النبيل . اذا كان المشوار الى بركة الازبكية بعيدا ، فسر بي الى المسجد او ضريح الولي القريب . تقاليد السناجق تمنع الاجتراء على اقتحام المساجد وضرائح الاولياء مهما كانت الاسباب .. فهل تحسب ان ابناء العرب يفعلون ذلك ؟. انحزت الى جانب سيدي حسين بك الصابونجي . رفعت السلاح ، فلم اخفضه حتى قتل من اعوانه من قتل ، ولاذ الاخرون بالفرار . التمع بريق الاعجاب في عيني سيدي . منحني يده الطاهرة فقبلتها . سمح لي بارخاء لحيتي ، والتمتع بمنصب خازندار . اصبحت ـ فيما بعد ـ كاشفا . كاشف اليوم هو سنجق الغد . مات سيدي . اندثر الزملاء والاعوان . تلاشى العصر باكمله . لم يبق من سلالة الامراء المصرية سواي . السنجق ـ يا أيها الشاب الطيب ـ يرث سيده في كل شيء . حتى في سلطة الامر والنهي ، في المنصب مهما سما . كان سيدي شيخا للبلد .. فهل تساعدني ؟

حرصت على اغلاق الباب جيدا . خلت الساحة الممتدة الا من اصراري ونظراته الذئبية . ملت الى الارض ، فطويت طرف السجادة، وقلت ـ دون ان يفقد رنين الصوت ايقاعه الهادىء : انزل ياباشا !.. تلك هي الصورة القديمة المتجددة ، التي جرى عليها الاسلاف الراحلون . لبى الوالي عثمان باشا راغب امر السنجق علي بلوط قبان طائعا ، فهل يعصي هذا الصعلوك امري ؟ . لم اهون من شانه فاكتفي بان ابعث اليه ارباب العكاكيز ، مثلما تلقى الامر عشرات الباشوات ، فغادروا القلعة معزولين . نقلوا امتعتهم يوم تلقى الامر نفسه . الوالي ينظر باسى ـ او ينقاد حيلة ـ الى طرف السجادة المطوى ، لا يملك للتقليد المرعى عصيانا . ينزل من القلعة الى قصره في المدينة ، ليختار السناجق من يخلفه . ذلك امر قضاه الله تعالى ، قد جعل الله لكل شيء بداية ، ولكل بداية نهاية ، ولكل دولة مدة معلومة ، وقسمة مقسومة .. لكن الملعون حدق النظر جيدا ، كانه الصق عينيه بعيني ، ثم تواصلت ضحكاته التي لا تليق بهيبة الولاة :

ـ يا مسكين .. لقد جننت .. اتظن انك تحيا في عهد آبائك ؟!.

ـ يا ايها الرجل .. ارادة السناجق حتم .. فلماذا تكابر ؟..

تكاثر الاعوان ، فاحاطوا بي . وجدت نفسي ـ للمرة الاخيرة ـ خارج المكان الذي كنت كرهته ..

يا ابناء الفلاحين . ساعدوني على استعادة مجد آبائي . اناهض السيادة العثمانية . انتزع النير التركي الظالم . لم يعد الدين وشيجة . غيبت خمر الحضارة سلاطين الاتراك . اختلطت انسابهم ـ في مضاجعات الجواري ـ بالاصول الوضيعة . احلاس الروم حكام القسطنطينية الحقيقيون . التظاهر بالاسلام وسيلة الوصول الى كراسي القيادة . الوالي التركي رمز حياة وضيعة سداها السيطرة وحصد الشوكة والاذلال . جسد الخلافة يعاني من الامراض والوهن والشيخوخة . الخزانة مفلسة ،والجيش اسطورة ، والاعداء يتربصون، والفتنة تتمطى في قلب الولايات ، والاطراف تتمرد وتثور ، وتعلن الاستقلال . حتى الدعاء على المنابر لم يعد الخليفة الذميم يستحقه. الخليفة اسير اغواته ورجال قصره . نفوذ الاجانب يقهر كل محاولات المصلحين من ساسة الاتراك . حتى السناجق الذين يدينون بالولاء للخليفة العثماني ، اناصبهم العداء . اخوض المعركة الى نهايتها . اقطع الآذان المتصنتة ، الالسن التي تردد الشائعات . افقأ الاعين التي تمد البصر الى ما وراء الحدود . اطيح بالاعناق التي تدعي التفوق والامتياز .. فالامراء المصرية ـ نحن ـ وابناء الفلاحين ـ انتم ـ نسيج واحد ، متماسك ، لعن الله من يمزقه . هذا مهدي الذي اقسم بسيفي اني ـ لو ساعدتموني ـ احققه . لقد طالما شايع علماء الازهر والتجار والوجهاء والاعيان سناجق العهد المجيد . شايعوهم علانية وسرا . قدموا الذهب والريالات والغلال والسلاح . جعلوا التخلص من ظلم الاتراك هدفا غاليا . مرت الاعوام ، فاذا الحاميات التركية تمصرت . مات من مات،وانقطعت صلة الباقين بالوطن الاصلي، وتغلب العنصر الوطني الشجاع ، فتمصرت الحاميات .. فهل تعيد ايام المجد دورتها ؟..

يا اهل مصر . الامان الامان . انتم رعيتنا . لم آت لاثارة الفتنة ، واغراء ناس على ناس . اتيت لاعطي كل ذي حق حقه . لارفع الظلم والجور ، واقيم الشرع ، وابطل الحوادث والمكوسات المبتدعة والنكرات والخمامير ومواقف الخوطي والبوظ من كل احياء القاهرة . اقضي حوائج العائلين والقاصرين بشهامة معروفة . اخلع الخلع على الامراء والاعيان والمشايخ . آمر باقامة شعائر المساجد ، واجراء خيرات الاوقاف ، واعطاء العوائد ، آمر بوضع الشموع والقناديل على قبور الاولياء ، وتقبيل اعتابهم ، والايمان بان بعض الاولياء اطلع على اللوح المحفوظ . انادي على طائفة النساء الا يجلسن على الدكاكين ولا في الاسواق الا بقدر الحاجة . اسعى في الحصول على القوات الرعية ..

ـ واضح ان الخمر ضيعتك تماما .. الاولاد بدأوا في التجمع .. ولن تفلت ـ كالعادة ـ من ايديهم ..

يا شيخ العرب همام . اطلب معونتك . ساعدني في ارتقاء المشيخة ، امكنك من الحصول على الفرمان الذي تهاوت يداك ـ موتا ـ قبل ان تصلا اليه . لك كل البلاد المرهونة في بردبس وفرشوط ، لرعاياك من عرب الهوارة الميامين ـ انت حاكمهم الاوحد ـ كل الغلال والسكر والمحاصيل . حق الحياة فوق الشرائع والقوانين . لم يستولوا على ما لا يملكونه . اقطعهم الظاهر برقوق ارضا بناحية جرجا، صحراء خرابا . بالهمة والاصرار عمروها . شيدت المباني ، واخضرت الارض ، واوقدت النيران ، وسرت الحياة في الموات . وصل المتآمر محمد ابو الذهب الى فرشوط ، فلم يجد مانعا . ملك ـ واتباعه ـ ونهب . اخذ جميع ما كان بدوائر العظيم همام واقاربه وانصاره من ذخائر واموال وغلال . قتل ودمر وسبى النساء ويتم الاطفال . زالت دولة شيخ العرب من بلاد الصعيد كانها ـ يا للماساة ـ لم تكن . بالغدر زالت . تاكد النصر لعلي بلوط قبان . اصبح سيد الوجهين ، وصاحب النفوذ المطلق في كل انحاء مصر . اتجه الى تصفية منافسيه من الماجدين ، الرؤساء والافران وباقي الاعيان . فرق جمعهم في القرى والدساكر والنجوع . تتبعهم خنقا وقتلا . ابادهم فرعا واصلا . استاصل كبار خشداشينه وقبيلته . فرض القوانين الجسيمة والعوائد المرتبة ، وحارب كبار العربان : لماذا اذل الملعون ابو الذهب عرب الهوارة ، وادخلهم في طاعة علي بلوط قبان ، ومت انت ايها العزيز كمدا . دولة الهوارة بالخديعة زالت ، وبالحق تعود . نقيم ثارنا في

ثاركم . دمنا في دمكم ، وعفا الله عما سلف . كل الهوارة الذين شردوا وسلبت نعمتهم ، انعم عليهم ، اكرمهم ، القاهم بالبشاشة والود والمحبة . لم يستفد من ضراعاتنا السابقة ، يظهر البهجة والانبساط ، يأمل في المزيد من دماء الاتراك والشراكسة وعرب الهوارة ، الا ابناء الفلاحين .. هؤلاء الاجلاف الذين يطمحون لان يتحقق حكم مصر لهم يوما . الرمال تمتص الدماء الزكية . اعين الفلاحين ـ وحدها ـ تتلهى برؤية الرؤوس العظيمة فوق الصواني ، ومشاعر الفرحة واضحة لا تنكر !..

يا ايها الصغار : ماذا تفيدون من اذية الخلق ؟. وورود الغد انتم ، فلا تجعلوا الحاضر البشع يئد المستقبل . الخليفة يمتص ضرع مصر الحلوب . اجلاف الفلاحين ناموا في الجهالة . عرب الهوارة عاثوا في الارض فسادا . المستقبل حياتكم ، فانتزعوه من ايديهم ..

ـ حرام يا اولاد .. لا تقذفوه بالطوب ..

ـ ساعدوه على الخروج من الحفرة ..

هل هي النهاية ؟. اغوص في البئر الذي اجاد المتآمرين اخفاءه . منذ ادنى الرجل لهيبه المتراقص ، وبان الشر في عينيه . بدت النهاية قريبة كأنها الحتم . ليكن طي الصفحة الاخيرة في المجلد العظيم بمثل ما نبضت به كل الصفحات من آيات المجد والعظمة والفروسية . مثل الايام الحاسمة في تاريخ البشرية تجيء ، مثل الطوفان والبراكين والزلازل والاعاصير . مثل الاسطورة التي يعجز عن تصورها الخيال . ظهري الى جدار النبالة . سيفي مشرع لا ينخفض . الحرب دابنا والجهاد صنعتنا . بالسيف فرضنا السيادة والهيبة ، بالسيف نعود .

نحن من الشجرة الطيبة التي اصلها ثابت وفرعها في السماء . اجدادنا امير بن امير الى سيدنا نوح عليه السلام . نحن فرسان المنايا والموت الاحمر . المجد ممتد ، ومتواصل ، وباق . كل من يعاند او يخالف ليس له جواب الا السيف . من تقرب الينا شبرا ، تقربنا اليه ذراعا ، ومن تقرب الينا ذراعا تقربنا اليه باعا . الويل كل الويل لمن يعادي ، والخير كل الخير لمن يوالي . لا يحصل منا اذية لاحد من الفلاحين ولا من العرب . الايذاء لنا اشواك الطريق الى البطولة . الشجاعة صبر ساعة . من اراد ان ينصر الحق ، فليقم معي ..

ـ صيب الرجل في رأسه ..

ـ ربما قتل المسكين ..

يا رب !.. يا ايها العزيز ، القادر ، القوي ، القاهر ، المدبر للكائنات ، المحيط علمه بالارضين والسموات . يا ايها القديم الاول ، الذي لا يزول ملكه ولا يتحول ، خالق الخلائق ، مفني الامم ، محيي الرمم ، معيد النعم ، مبيد النقم ، كاشف الغمم . صاحب الجود والكرم . اغثني يا غياث المستغيثين . احكم بعدلك يا احكم الحاكمين . انصرني وانتصر لي . اني عبدك الضعيف المظلوم يا ارحم الراحمين . لا اريد الا المعيشة وراحة السر . بسم الله الرحمن الرحيم . قل اعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق ، ومن شر غاسق اذا وقب .. قل اعوذ برب الناس ، اله الناس .. قل هو الله احد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد .. اشهد .. اشهد ان لا اله الا الله .. الا الله .. ولم يكن .. لم يكن .. له كفوا احد ..

القاهرة

الفكر العربي
في معركة النهضة
تأليف الدكتور انور عبدالملك

« هذا الكتاب موجه في المقام الاول الى قطاع محدد من جمهور القراء في العالم العربي ، هو قطاع الجيل الجديد من شبابنا العربي في كل مكان ، شباب الريف والمدن ، شباب الفكر والعمل ، شباب الانتاج والعلم والسلاح . ربما يجد فيه بعض رجال الفكر والعمل من جيلنا ـ الذي كان « على موعد مع القدر » ـ اسهاما في نهضتنا الحضارية . نقول « البعض » ، اذ ان منهج التنقيب عن مستقبل الفكر العربي في عصر النهضة الحضارية ، وهو المنهج النابع من تغيير الاطار المعرفي ـ وهو جوهر عملنا النظري القائم منذ ١٩٥٩ ، والمرتقب ، الا وهو تجديد الفلسفة الاجتماعية على ضوء تفاعل حضارات الشرق والغرب ـ نقول : ان هذا المنهج وذلك التجديد النظري يمتان على وجه التحديد الى مرحلة الثورة الوطنية التقدمية وغايتها النهضة الحضارية ، وهي مرحلة جديدة حقا على المفاهيم والتقاليد الفكرية الموروثة للاجيال السابقة من حركتنا الوطنية المتأقلمة في اغلب الاحيان في اجواء ثقافية ـ فكرية استشراقية ، اوامية ، او سلفية .

وهو كتاب يتصدى للاجابة على سؤال مركزي في تحركنا العربي المعاصر ، الا وهو : كيف يمكن ان نقيم علاقة جدرية ، عضوية ، متصلة ، بين تحركنا الوطني التحرري المتجه الى الثورة الاجتماعية والهدف الاشتراكي من ناحية ، وبين اقامة فلسفة تواكب هذا التحرك الذي فرض نفسه على العالم اجمع ، تكون على وجه التحديد ، فلسفة النهضة الحضارية في مصر والعالم العربي ؟ » . ـ من المقدمة ـ

منشورات دار الآداب — الثمن ٨٥٠ قرشا لبنانيا